الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

لجنة التنظيم

رئيس لجنة التنظيم:

الدكتور المصري مبروك عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أعضاء لجنة التنظيم

- أ. محمد عبد الرحمان قاسي
- د. الطاهر مشري
- د. أحمد جعفري
- أ. الصديق مقدم
- أ. أحمد شكيب بكري
- أ. إدريس بن خويا
- أ. عبد القادر اقصاصي
- باسة عبد النبي

لجنة الطبع والإخراج:

عبد الرحمن بوظفـــر
عمـــــــــار بكراوي
باطيـــــــر عمـــــار

الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

رئيس الملتقى

أ.د. عيسى قرقب — مدير جامعة أدرار

رئيس اللجنة العلمية

أ. عبد الله رزوقي — جامعة أدرار

أعضاء اللجنة العلمية

أ. محمد عبد الرحمان قاسي	جامعة أدرار
د. الطاهر مشري	جامعة أدرار
د. أحمد جعفري	جامعة أدرار
د. محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار
أ. عبد العزيز ابليلة	جامعة أدرار
أ. خالدي ميزاتي	جامعة أدرار
أ. مبارك بلالي	جامعة أدرار

الفهـرس العـام

أعضاء اللجنة العلمية	ب
الفهـرس العـام	ج
ديباجة الملتقى	ه
محاور الملتقى	و

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

01	أ.عبد الحفيظ تحيريشي	مفاهيم النص	13
02	أ. كريمة صمباوي	النص عند القدماء "بحث في الماهية"	19
03	أ. عبد العزيز ابليلة	النص التراثي: محاولة في تحد يد المفهوم	24
04	أ. محمد عبد الرحمان قاسي	القراءة: وإشكالية المصطلح	33
05	د. إبراهيم صدقة	تصور التراث النقدي للنص الأدبي ابن طباطبا أنموذجا	38

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

06	د. شعيب مقتونيف	القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير	53
07	أ. عبد الله حبيبي	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.	61
08	أ. إدريس بن خويا	النص الأدبي – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال–	70
09	أ. مبارك بلالي	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي	74
10	أ. محمد حاج قويدر	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور مصطفى ناصف عرض وتقديم	77
11	د. بوجمعة شتوان	إستراتيجية الاستعارة في الصورة التراثية	84
12	د. عبد الحليم بن عيسى	"النص التراثي وآليات قراءته التداولية" –نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجا–	90
13	أ. خالدي ميزاتي	النقد الأركوني للتراث : قراءة علمية أم إديولوجيا؟	104
14	أ. بريـك الضاوية	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي	107
15	أ. عبد الله مقلاتي	نقد التراث والتاريخية في مشروع محمد أركون الفكري	113

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

16	د. عبد الكريم بكري	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث	119
17	د. قادة عقاق	وعي التراث وإشكاليات قراءته (مدخل إلى دراسة العلامة في التراث العربي الإسلامي)	127
18	أ. سعاد شابي	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي	136
19	أ. الصديق حاج أحمد	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – أطروحات الدكتور طه عبد الرحمان أنموذجا	142
20	أ. عز الدين حفار	معيار التماسك في النص الشعري قراءة في معلقة عنترة بن شداد	155

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

21	أ. محمد بوسعيد	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي نموذجا"	159
22	أ. أحمد شكيب بكري	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية حكاية سالم والساحر _ لمحمد ديب _ دراسة سيميائية.	169
23	أ. نعيمة سبتي	قراءة النّص التراثي في الخطاب العربي المعاصر (من التنظير الحديث إلى التطبيق المعاصر)	186
24	أ. سليمان قوراري	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي سامي سويدان وريتا عوض نموذجا	194
25	الأستاذ: صديق مقدم	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص الشعرية	199
26	Intervenant: Yahiaoui. Abderrahmane	Apprentissage du français dans la région de TOUAT	206
27	الأستاذ: عبد الحق خليفي	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية	213

ديباجة:

لا يزال التراث العربي – الإسلامي، بمختلف نصوصه وخطاباته، يطبع جوانب أساسية من حياتنا أفراداً وجماعات، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يحتل موقفاً متميزاً في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، سواء بتوظيفه في الصراعات الإيديولوجية التي تشهدها الساحة الفكرية والسياسة عندنا، أو بمساهمة الباحثين والدراسين في إحيائه وإعادة قراءته وفق مناهج ورؤى مختلفة، مما جعل تلك القراءات تتراوح بين الفهم التقليدي الذي يحول النص إلى نموذج تاريخي مغلق وفهم آخر – علمي . قائم على توظيف التجديد المنهجي الحاصل في علوم الإنسان والمجتمع أملاً في لحظة تاريخية تضع الأمة في قلب العالم والعصر.

ولمّا كانت القراءات الحديثة التي تناولت النص التراثي . العربي . أكثر من أن تحصى، فقد رأى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أدرار أن يجعل من تلك القراءات نفسها موضوعاً لقراءات أخرى مشروعة وضرورية، وذلك من خلال تنظيم ملتقى وطنيّ موضوعه: (النص التراثي وإشكالية القراءة) ليكون مناسبة للتعريف بأهم المناهج الحديثة، ومقولاتها، وأدواتها الإجرائية، ومرجعياتها الفكرية والإيديولوجية، وامتحانها في حقل النصوص التراثية لبيان حدودها.

محاور الملتقى الوطني

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

برنامج سير الأشغال

التاريخ	التوقيت	البيان
الاثنين: 2008/04/21		**استقبال المشاركين من جامعات الوطن**
الثلاثاء: 2008/04/22	**09:30 – 08:00**	**الافتتاح الرسمي**
	12:30 – 10:00	**الجلسة الأولى**
	18:30 - 16:00	**الجلسة الثانية**
الأربعاء: 2008/04/23	**10:00 - 08:00**	**الجلسة الثالثة**
	12:30 - 10:30	**الجلسة الرابعة**
	19:00 – 16:00	**الجلسة الخامسة**
	18:30 – 18:00	**الجلسة الختامية**

* برنامج أشغـال الملتقـى الوطني الثالث *

" النَّـص التُّـراثِـي وإشكَـاليـَّـة الـقـرَاءة "

الثـلاثـاء :22 أبـريل 2008 .

الفـتــرة الصـبـاحيـــة: 08:00 – 12:30 .

09:30 – 08:00 مـراسيم الافتتـــاح.
- الافتتاح بآيـات قـرآنيــة.
- الاستمـاع للنشيد الوطني.
- كلمة السيد عميد كليـة الآداب .
- كلمة السيد رئيس قسم اللغة العربية.
- كلمة السيد رئيس اللجنة العلمية للملتقى(السيد الأمين العام للجامعة).
- كلمـة ممثـل الأسـاتذة الضيـوف
- كلمة السيد رئيس الجامعة.

10.00-09:30 استـــــــراحـــــة .

12:30 – 10:00 الجلســة الأولـــى . المحـــور الأول: النص التراثي تحديد المفاهيـــم .

رئيس الجلسة	المتـدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/أحمد جعفري	د/إبراهيم صدقة	ج/ سطيف	تصور التراث النقدي للنص الأدبي " ابن طباطبا" أنموذجا
	أ/ كريمة صمباوي	ج/ أدرار	النص عند القدماء "بحث في الماهية"
	أ/ عبد العزيز أبليلة	ج/ أدرار	النص التراثي: محاولة في تحديد المفهوم
	أ/ عبد الرحمان قاسي محمد	ج/ أدرار	القراءة : إشكالية المصطلح
	أ/ محمد الأمين خلادي	ج/ أدرار	أطاريح التراث العربي ومفاهيم دراستها
	أ/ عبد الحفيظ تحريشي	ج/ أدرار	مفاهيم النص .

الفـتـرة المسـائيـة: 16:00 – 18:30.

الجلســة الثانيـة : المحـور الثاني: القراءات النقـدية للنص التراثي ، وصف وتقديم .

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ الطاهر مشري	د/شعيب مقنونيف	ج/تلمسان	القراءات المتجددة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير
	أ/حبيبي عبد الله	ج/ أدرار	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حزم القرطاجني
	أ/لعلمي حدباوي	ج/ أدرار	قراءة إحسان عباس للتراث
	أ/بن خويا إدريس	ج/ أدرار	النص الأدبي من بنية المعنى إلى سيميائية الدال
	أ/أبلالي مبارك	ج/ أدرار	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي
	أ/الحاج قويدر محمد	ج/ أدرار	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور "مصطفى ناصف"عرض وتقديم
استراحـــــــة			

الأربعاء :23 أبريل 2008 .

الفـتـرة الصباحيـة: 08:00 – 12:30

08:00- 10.00 .الجلسة الثالثة: المحور الثاني : **القراءات النقدية للنص التراثي : وصف وتقديم**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
أ .د/ بكري عبد الكريم	د/بوجمعة شتوان	ج/ تيزي وزو	إستراتيجية الاستعارة في الصورة الشعرية التراثية.
	د/بن عيسى عبد الحليم	ج/ وهران	النص التراثي وآليات قراءته التداولية نقد النثر لقدامة بن جعفر – أنموذجا
	أ/خالدي ميزاتي	ج/ أدرار	النقد الأركوني للتراث :قراءة علمية أم إيديولوجيا؟
	أ/ باريك الضاوية	ج/ أدرار	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي
	أ/مقلاتي عبد الله	ج/أدرار	نقد التراث والتاريخانية في فكر محمد أركون
	أ/خليفي عبد الحق	ج/أدرار	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية

استراحـــــة

10:30- 12.30 الجلسة الرابعة:المحور الثالث:**القراءات الحديثة للنص التراثي/المناهج الحديثة وآلياتها**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ محمد الأمين خلادي	أ.د بكري عبد الكريم	ج/ وهران	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث
	د/قادة عقاق	ج/ س/ بلعباس	وعي التراث وإشكاليات قراءته(الخطاب السيميائي نموذجا)

	د/مشري الطاهر	ج/ أدرار	إشكالية قراءة التراث الصوتي العربي من خلال كتاب (المجمل في المباحث الصوتية) د. مكي درار
	أ/شابي سعاد	ج/ أدرار	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي
	أ/الحاج أحمد الصديق	ج/ أدرار	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – "د / طه عبد الرحمان ".أنموذجاً.
	أ/بكري أحمد شكيب	ج/أدرار	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية: " حكاية سالم والساحر لمحمد ديب نموذجا" دراسة سيميائية

الفتـرة المسـائيـة :16:00 – 19:00 .

18.00-16:00 الجلسـة الخـامسـة: المحور الرابع: مقـاربات تطبيقيـة للنص التـراثي .

رئيـس الجلسة	المتـدخـل	الجـامعـة	عـنـوان المـداخلـة
أ/ عبد الرحمـان قـاسي محمد	أ/حفار عز الدين	ج/ مستغانم	معيار التماسك في النص الشعري "قراءة معلَّقة عنترة بن شداد"
	أ/بوسعيد محمد	ج/ الشلف	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي أنموذجاً
	أ/سبتي نعيمة	ج/ أدرار	قراءة النص التراثي في الخطاب العربي المعاصر من التنظير الحديث والتطبيق المعاصر .
	أ/قوراري سليمان	ج/ أدرار	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي. سامي سويدان و ريتا عوض نموذجا
	أ/مقدم صديق	ج/ أدرار	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص شعرية
	أ/ يحياوي عبد الرحمان	ج/ أدرار	LE FRANCAIS COMME LANGUE D' E'CHANGE ET LE PATRIMOINE CULTUREL LOCAL.
استراحـــة			

الجلسـة الختـاميـة: 18.00–18.30 .قراءة التوصيات واختتام أشغال الملتقى .

المحور الثالث:

القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها

وعي التراث وإشكاليات قراءته
(مدخل إلى دراسة العلامة في التراث العربي الإسلامي)

الدكتور: قـادة عقـاق
جامعة سيدي بلعباس.

1. وعي التراث وإشكاليات قراءته:

– لماذا التراث؟ وبأي وعي نقرأه؟وكيف نتعامل ونتفاعل معه؟ ووفق أي منطق ينبغي محاورته وتأويله؟ [1].

ذاك ما تحاول هذه المداخلة الإجابة عنه، بشيء من التكثيف والاختصار. عبر صياغة إجابات تهدف إلى الاقتراب من الحقيقة العلمية المتعلقة بالوجود الأنطولوجي للعلامة[2] في التراث العربي الإسلامي، ومحاولة معرفة فاعليتها في عملية الاتصال والتبليغ، ناهيك عن عملية مقاربة النصوص الأدبية وتقويمها، وبيان مدى الصرامة العلمية ودقة المنهجية التي تميزت بها دراسة أسلافنا من العلماء والفلاسفة العرب في هذا المجال.

فالتراث العربي الإسلامي قد لامس كثيرا من إشكاليات البحث الدلالي، وتعرض لأدق مسائله وأكثرها تعقيدا، من قبيل: مفهوم العلامة وأنواعها، وطابعها التواصلي وقيمتها الدلالية، فضلا عن قضايا(المرجع) والاختلافات الواقعة بشأنه، بالإضافة إلى سعة المجال الإجرائي للعلامة (الدلالة) وأنواعها عند أسلافنا، وقوانين النظم ونظرية المعنى في هذا الموروث بمباحثه المتعددة: كمسألة ثنائية اللفظ والمعنى ودلالة التركيب، ودلالة النظم والمعنى السياقي للتركيب، والبعد السمانطيقي للعلامة اللغوية داخل هذا الأخير(التركيب). بالإضافة إلى دلالة السياق وقصد المتكلم وكذا كفاءة المتلقي، فضلا عن قضايا أخرى ترتبط بهذه المسائل بكيفية أو بأخرى، مثل: المجاز اللغوي ومعنى المعنى، والمجاز بين المنطلق اللغوي والأفق البلاغي، ثم تحليل الخطاب بين علمي النحو والبلاغة، ناهيك عن دلالة الاستعارة والموقع البلاغي المتحول، حيث المجاز بين ثبات القوانين النحوية وديناميكية المكونات الدلالية، بالإضافة إلى بعده الإيحائي وقابليته للتأويل.

وهي مسائل نراها تشكل البدايات الأولى لبحث سميائي عربي ذي مميزات خاصة، حتى وإن لم يكن يتقاطع مع البحث السميائي المعاصر – وهذا أمر مبرر زمانيا – فإنه يجاوره ويقدم نفسه جنبا إلى جنب معه في كثير من الأحيان وفي العديد من القضايا.

ولعل الهدف المتوخى من وراء النبش في التراث وإعادة قراءته من جديد، هو محاولة ردم تلك الهوة العميقة الموجودة بين المنجز الدلالي التراثي والتأريخ السيميائي المعاصر، ومحاولة ربط الحلقة العربية المقصاة بما قُدّم في البحث السيميائي حتى الآن.

ولكن عملا كهذا لن يستقيم إلا بتوافر شروط معينة، ينبغي قراءة هذا التراث وفقها، وتأويله واستثمار نصوصه فيما يخدم راهننا، ويثري معرفتنا بأنفسنا وبالآخر.

وأعتقد أن ذلك لن يتم، إلا عن طريق تحويل نصوص هذا التراث واستثمارها بوعي، والنظر إليها بوصفها تراكما كمّيا ونوعيا، يتحوّل ويتجدّد بناءا على استراتيجية مضبوطة سلفا، محدّدة لنفسها أولويات، ومبرّرة شرعية وجودها بغايات علمية خالصة لا غير.

فمن خلال تحويل نصوص هذا التراث لمراكمة نوع من المعرفة جديد، عن طريق استثمارها واستنطاقها ومحاورتها بوعي، والتحدّث فيها ومعها، لا عنها، لا يعود هذا التراث الدلالي يفهم فهما منعزلا عن سياقاته العلمية، ومنبتّا عمّا استحدث من بعده من مراكمات معرفية، ولا يغدو يُقرأ كمنجز مختلف أو متأخّر، بل بوصفه جزءا من سيرورة التاريخ الحي للبحث السيميائي، ومعلما من معالمه الكبرى ومرحلة من مراحله المضيئة، وإن كانت إرهاصا وبداية إلاّ أنها تأسيسا لا بدّ منه لكل معرفة جادة تنهض على أسس معرفية صلبة، وتاريخ علمي ثر.

ولئن كانت منجزاتنا الراهنة تختلف عن المنجز التراثي، سواء من حيث الرؤية أو من حيث المنهج، فلا يعني ذلك أنه ينبغي التخلي عنه أو تجاوزه –بالانقطاع عنه– بدعوى أنّه أصبح ينتمي إلى" التاريخ الميت"[3] أو "أصبح في ذمة التاريخ"،أو "أنه مجرد تراث"[4] ينتمي إلى دائرة اللاّمعقول أو هو "قطعة عزيزة من التاريخ" يجب المحافظة عليها وفقط، كما يلهج بذلك بعض باحثينا المهتمين بإعادة قراءة التراث والاشتغال عليه، والذين انبهروا بالثقافة الغربية الحديثة، وحاولوا أن يحاكموا النصوص التراثية –بكلّ ما تعنيه هذه الكلمة من معنى– من خلالها، والبون شاسع ما بين الأمرين.

إنّ إقصاء التراث أو محاولة تقويضه، والقفز عليه أو اختزاله، وتعميم الأحكام حوله، هو –في اعتقادنا– عمل ارتجالي، غير علمي وإن كان يدَّعي العلمية والرصانة، ويزعم أنه ينطلق منها، وعليها يبني أحكامه. فهذا "التراث الذي وصل إلينا ما يزال يمتد فينا، وما نزال نحيا بواسطته شئنا أم أبينا، وعينا ذلك أم لم نعه. يحضر بأشكال متعددة في ذهنيتنا ومخيلتنا وذاكرتنا، ويتجلى بصور مختلفة في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا، ومهما حاولنا القطيعة معه، أو إعلان موته نظرياً أو شعورياً تظل خطاطاته وأنساقه وأنماطه العليا مترسّخة في الوجدان"[5].

انطلاقا من هذه الرؤية، أخالنا لا نجانب الصواب إن نحن ذهبنا إلى القول، إن هذا التراث ما يزال يطرح عديد المشكلات التي لا تزال تتصل –على نحو من الأنحاء– بصميم ما نفكر به في واقعنا المعاصر، وتفعل فيه، وأعتقد أننا نستطيع تلمُّس ذلك ووعيه، من خلال البحث ليس في ما يقوله هذا التراث فحسب، بل أيضا في الشروط التي تجعل هذه الأقوال ممكنة وفاعلة في واقعنا، عن طريق الاجتهاد في استكشاف ما تنطوي عليه هذه الأقوال من إمكانات معرفية لم تستثمر بعد.

وهذا يتم من خلال قراءتها قراءة واسعة وعميقة وحديثة، لا تقتصر على شرح معانيها وتوضيح مراميها، وتبيان المقاصد الحقيقية لمؤلفيها من وراء تأليفها، بل من خلال تفكيكها وإعادة بنائها، سواء بفحص مسلّماتها وتحليل آلياتها وبنياتها، أو برصد احتمالاتها الدلالية وسبر خبايا ممكناتها المعرفية، أو بالعمل على تأويلها وتجديد فهمها واستثمارها[6].

أي قراءتها قراءة تطمح لأن تكون "ممارسة فكرية مقالية فعالة ومنتجة، أي بما هي نقد وتفكيك، وبما هي تأويل وإعادة بناء"[7].

فمن خلال هذا المنظور لا تغدو هذه النصوص أو هذه الأقوال مجرد تراث أصبح ينتمي كلياً إلى الماضي، أو مجرد مرحلة فات زمنها، بل إنجازات وروائع لا يمكن تجاوزها[8]، وليس هناك من مبرر للانقطاع عنها أو محاولة تجاهلها.

ولكن ينبغي العلم، بأن عملا كهذا – وبخاصة في موضوعنا الذي يتعلق بالبحث الدلالي عند العرب، وتحديدا الجانب الذي يمس بعض الإشكالات السيميائية فيه ونعني بذلك مجال العلامة ونظرية المعنى– يملي جملة من الإحتياطات المنهجية التي يستلزم وضعها في الحسبان إزاء الصعوبة المتمخّضة عن تحديد الجهة التي عرف فيها البحث الدلالي بدايته الأولى والحقيقية.

1.1. صعوبة الإحاطة بالبحث الدلالي العربي وإشكالية المداخل المنهجية:

تجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أنّ الإحاطة الشاملة بالبحث الدلالي عند العرب، أمر من الصعوبة بمكان، فبالإضافة إلى أنه يحتاج إلى عدة أبحاث مستقلة ومتخصصة، نظراً للإسهامات الكثيرة التي قدّمت في هذا المجال، حيث تناولها المناطقة والفلاسفة والأصوليون وعلماء التفسير والفقه والحديث واللغويون وعلماء الكلام والنقاد وغيرهم...فإن هناك مشاكل من نوع آخر لا تزال تعترض سبيل كلّ من يريد الخوض في بحر هذا التراث الدلالي، ولعل أهمها ذلك الإهمال غير المبرّر الذي لاتزال تلقاه كثير من المخطوطات النادرة والنفيسة، التي لا تبرح قابعة فوق رفوف بعض المكتبات الأجنبية، يعف عليها الزمن وتأكلها الرطوبة ولم تجد بعد من يهتم بجلبها وتحقيقها.

يضاف إلى هذا، ذلك الوعي الظرفي بل والقاصر، الذي تعاملنا ولازلنا نتعامل به مع هذا التراث، حيث أن هناك العديد من النصوص التي ما تزال لم تقرأ بعد، ولم يبحث فيها على الرغم من كونها أكثر تداولاً بين أيدي فئات واسعة من القراء [9].

ف **(خطاب الإرادة)**، أو الرغبة في تجديد تراثنا، و**(خطاب الوجوب)** ممثلا في ما ينبغي أن يكون عليه هذا التراث في وعينا وواقعنا، واللّذان ما يزالان يهيمنان على عقولنا ويتواتران في مختلف أحاديثنا وتحاليلنا، لن تكون لهما من فائدة ترجى، إلا باستنادهما إلى الفهم، أي إلى **(خطاب المعرفة)** و**(خطاب القدرة)**، لأن من خلالهما، تتحقق فاعلية الخطابين السابقين –(خطاب الإرادة) و(خطاب الوجوب) – وانطلاقا منهما، نستطيع إنتاج (معرفة) جديدة، هي وليدة نمط من الوعي جديد، ونتاج شكل من النظر مغاير[10]، قادر على تفعيل هذا التراث وجعله في مستوى الإسهام في واقعنا الثقافي والمعرفي.

والأسئلة التي نعتقد أنها تشكل مدخلاً منهجياً لبحث من هذا القبيل، وتطرح نفسها هنا بإلحاح هي :

1.1.1. من أين نبدأ؟

هل نبدأ بإحصاء كل ما قدّمه العرب في البحث الدلالي لمفاخرة الأمم الأخرى وإشعارها أنّ العرب هم السابقون في هذا المجال؟ علماً بأنّ التراث العربي الأصيل يمتلك في هذا المجال زاداً معرفيا حقيقيا بإمكانه أن يشكّل – بحق– خلفية معرفية صلبة لقيام بحوث سيميائية عربية أصيلة، يمكنها أن تكون –إن هي استغلت

بِوعي- بمثابة الدعائم الأساسية لمقومات الثقافة العربية الأصيلة، حيث يجد الباحث نفسه محاطاً بركام هائل من الدراسات والأبحاث النظرية والتطبيقية الرصينة، تجعله في شبه اكتفاء ذاتي عن معارف الشعوب والحضارات الأخرى[11]. ولكن عدم الالتفات إلى هذا التراث العظيم، بل وإقصاءه من طرف الكثيرين، وعدم إيلائه الأهمية القمينة به، هو ما يفسر -في اعتقادنا- التهافت المطلق للدارسين العرب على منجزات الغرب الدلالية والسيميائية، وانجذابهم الكلّي نحوه، بل وانبهارهم بطروحاته، دون رويّة أو تمعّن أحياناً.

2.1.1. أم هل نبدأ -يا ترى- بمساءلة كل ما كُتِبَ في البحث الدلالي عند العرب بُغية التأريخ لحركة سيميائية عربية[12]، نعتقد أنها كانت تختلف إن كثيراً أو قليلاً عن بعض المقتضيات المنهجية لهذا العلم الجديد (السيميائيات) [13]؟

3.1.1. ثم كيف نربط بين هذا العلم الجديد -علم العلامات أو السيميوطيقا، الذي يزعم لنفسه القدرة على دراسة مختلف أنظمة العلامات التي يبتدعها الإنسان ليدرك بها واقعه ويدرك بها نفسه- وبين التراث العربي الدلالي؟ وما قيمة هذا الربط وما جدواه[14]؟

نعتقد أن الإجابة عن السؤال الأول بـ (نعم) يتمخّض عنه طرح غير علمي، ينحرف بنا عن روح المسار العلمي المندرج ضمن رؤية علمية واضحة تُسلِّم مبدئيا بإنسانية المعرفة وعالميتها، فضلا عن كونها ليست حكراً لأمة دون أخرى[15]، ذلك لأن "الدراسة النقدية والعلمية للتراث هي وحدها القادرة على كشف جوانبه الإيجابية، وفتح الطريق لتجاوز سلبياته التي لا تزال تعيق نهضة العرب والمسلمين عموماً"[16].

أما الدراسات الإحصائية التي تقوم على خلفيات سلفية -دون مرجعيات علمية ودون وعي- تتغيّ إعادة إنتاج الماضي، وتكتفي بما قدّمه الأوائل، وتمجّد التراث بطرق تبجيلية وتبريرية عقيمة، فنعتقد أنها تُسِيءُ إلى التراث أكثر مما تفيده[17]فضلاً عن أنه ليس في مقدورها أن تقدّم نتائج علمية تخدم العلم والمعرفة.

وتقتضي منا الإجابة عن السؤال الذي يليه بالإيجاب، طرح سؤال أكثر صميمية وأهمية مؤداه: هل ورد مصطلح (السيميائية) بنفس مفهوم البحوث السيميائية المعاصرة[18]والجواب -باختصار- أنّ كل ما جاء تحت مصطلح "علم السيمياء" في التراث العربي كان وثيق الصلة بالسحر وعلم أسرار الحروف*[19] -وهذا خارج عن نطاق هذه الدراسة- وهو أمر سيدفعنا حتما إلى اِلتَفْتِيشْ عن أرضيات أخرى عرفت نشاطاً دلالياً مكثّفاً وواضحاً، تحت مصطلحات أخرى -هي ليست بالضرورة مصطلح السيميائية أو السيميوطيقا- تشكل الإرهاصات الأولى للبحث السيميائي في التراث العربي الإسلامي.

ونعتقد أنّ الإجابة عن السؤالين المتبقيين والمتعلقين بكيفية الربط بين هذا العلم الجديد - علم العلامات أو السيميوطيقا- وبين التراث وجدوى هذا الربط، هو أمر يحتّم علينا مراعاة الظروف الموضوعية والسياقات التاريخية التي نشأ في حضنها كلا العلمين، ومراعاة المسافة الزمنية التي تفصل بين الواقعين (الواقع الغَرْبِي المعاصر، والواقع العَرَبي القديم). ذلك لأنّ الانسياق وراء **وهم التأصيل**، الذي يتنازع الكثير من نقادنا المعاصرين، بحيث "كلما أتتنا صَيْحَةٌ من الغرب هرعنا إلى تراثنا نلوذ به ونحتمي كأنّ المعرفة لا تستقرّ في وعينا إلاّ إذا كان لها سَنَدٌ من تراثنا حقيقي أو وهمي"[20]، هو انسياق لا يخدم المعرفة ولا يُنَمِّي تراكماتها، بقدر ما يهدر الطاقة والوقت في محاولة يائسة لإثبات -وبعناد واضح- أن التراث العربي كان حاملاً لكل ما جاء به فكر الغرب، وكان سبّاقاً إلى ذلك بقرون عديدة، لهذا فهو يحاول -بوعي أو بدون وعي- إجهاد نفسه في إثبات

نِدِّيَةِ التراث العربي للفكر الغربي، الأمر الذي يسقطه في تفسيرات تَعَسُّفية للتراث "في ضوء مفاهيم الغرب عن طريق التأويلات المستكرهة التي تُغفِل طبيعة التراث وتتجاهل ظروفه الموضوعية ومنطقه الداخلي الخاص"[21]به دون غيره.

لذلك فإنّ الهدف العلمي من النَبْش في التراث، ينبغي أن تكون الغاية منه، هي إلقاء مزيدٍ من الضِيَاء على هذا التراث، وبالتالي مزيد من الوعي به، بُغية اكتشاف بعض جوانبه التي يمكن أن تساعدنا السيميوطيقا – هذا العلم الجديد– على اكتشافها.

ونعتقد أن النزوع نحو إعادة اكتشاف بعض جوانب التراث في ضوء المفاهيم الغربية الحديثة أمر مشروع– لأن الأخذ بالمناهج الحديثة وآليات التحليل المستحدثة في مثل هذا المقام يُسِهمُ في إثراء التراث وإعادة قراءته وفقا لمعطيات الفكر الحديث، وتبعا للتطور الذي حَازَته مناهج الدراسة بسبب التقدّم العلمي الذي مسَّ جميع مناحي الحياة. وفي هذا وصلٌ للماضي بالحاضر، وفق أسس سليمة واستراتيجية مضبوطة تجمع بين الأصالة المتجذّرة والتجديد المتغيّر دومًا – ولكنه في الوقت نفسه مرهون بحركة وعينا المعاصر ما دام أن علاقتنا بالتراث لا تساوي العلاقة بالآخر، هذا فضلاً عن أنّ إعادة الاكتشاف هذه تصحّح علاقتنا بالآخر وتَنْفِي عنّا التبعية له، تمامًا كما أن علاقتنا بهذا الآخر وحوارنا الواعي معه، يعصمنا من التبعية الكاملة للتراث، لأن التراث –في النهاية– ملكٌ لنا تركه لنا أسلافنا لا ليكون قيدًا على حريتنا وعلى حركتنا، بل لِنَتَمَثَّله ونُعِيدَ فهمه وتفسيره وتقويمه من منطلقات همومنا الراهنة، فتغدُو عودتنا إليه حينئذٍ، نابعة من ضرورة وجودية وضرورة معرفية[22]، همّها الأساس المعرفة العلمية واكتشاف الذات الحضارية في شموليتها.

هذا هو الموقف الذي ينبغي أن ندرس تراثنا من خلاله، وهو الموقف نفسه الذي يتوجب علينا أن ندرس تراث الآخرين من خلاله، عن طريق الحوار المثمر والمناقشة الفاعلة، مستهدفين ضمن ذلك مزيداً من الفهم لأنفسنا أولاً ولهؤلاء الآخرين ثانياً. فالذات الثقافية لاتدرك نفسها عادة إلا في مواجهة الآخر والحوار معه[23].

وعليه فينبغي أن يكون دافعنا إلى البحث في التراث والعودة إلى استلهامه من حين لآخر، هو الرغبة العلمية –لا غير– في فهم طروحاته العلمية اللغوية وغير اللغوية –باعتبارها **علامة دالة**– ومعرفة التصورات المنهجية "لدى القدماء العرب في تعاملهم مع النصوص والمستوى الذي وصلت إليه الدراسات النصية"[24]، وذلك من خلال تأصيلها في نصوصها الأصلية.

ذلك أنه، إذا كان كلّ منجز معرفي يمثل عقلانية عصره، ويعكس حداثة زمانه، إلا أنه بالإمكان استحضاره واستثماره وقراءته وتأويله، وبالتالي تعويمه على نحو نلامس به بعض مفاصل حداثتنا الفكرية، ليفيدها–بحضوره الدائم والواعي في وعينا– في منجزاتها الراهنة وطموحاتها المستقبلية. مما يجعل من عملية الاستفادة –استفادتنا– مما تمخضت عنه هذه الدراسات التأثيلية الأصيلة –على الرغم من قدمها النسبي مقارنة بما استجد في حقل المعرفة حديثا– استجابة ملحة لضرورة معرفية وحضارية لا غنى لنا عنها، لتأسيس فرادتنا وتميزنا[25].

ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا، أنها دعوة منّا إلى الاكتفاء بمنجزات هذا الموروث، والوقوف عنده لا نبرحه، وأن نبقى نلوكه، فيما الزمن يجري والمعرفة تتطور وتتجدد في كل حين، فذاك أمر يستحيل القول به في

ظلّ مستجدات العصر، وفي إطار التطور المتسارع للمعارف الإنسانية والتراكم المكثّف لخبراتها، بقدر ما يعني الدعوة إلى وعيه والاستفادة ما أمكن من إشراقاته، مع ضرورة العمل على تطويره وسد النقص الموجود فيه عبر تلقيحه بما استحدث من معارف، لكن وفق خطة مرسومة واستراتيجية معلومة كما أسلفنا الذكر.

هوامش وإحالات:

(01) لمزيد من التفصيل حول بعض الكيفيات المختلفة والمتفاوتة من حيث المستوى في التعامل مع التراث وطرائق قراءته والاشتغال عليه، ينظر على سبيل المثال لا الحصر:

- حسين مروة، تراثنا.. وكيف نعرفه؟ مؤسسة الأبحاث العربية 1985.
- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت 1984.
- نقد العقل العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت/ دار البيضاء.
- بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1986
- محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مركز الإنماء القومي 1986.
- الفكر الإسلامي، قراءة علمية، مركز الإنماء القومي، بيروت 1987.
- الإسلام، الأخلاق والسياسة، مركز الإنماء القومي 1990.
- مصطفى ناصف، محاورات مع النثر العربي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير/شباط 1997.
- عزيز العظمة، التراث بين السلطان والتاريخ، منشورات عيون.
- برهان غليون، الوعي الذاتي، منشورات عيون، الدار البيضاء، 1987.
- طيب تيزيني، مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، دار دمشق.
- نصر حامد أبوزيد، فلسفة التأويل، دار التنوير 1983.
- الاتجاه العقلي في التفسير، دار التنوير، بيروت 1982.
- الأساس الكلامي لبحث المجاز في البلاغة العربية، ضمن كتاب: دراسات في الفن والفلسفة والفكر القومي، دار القاهرة للنشر والتوزيع 1983.
- علي أومليل، في التراث والتجاوز، المركز الثقافي العربي، بيروت / الدار البيضاء.
- فايز الداية، علم الدلالة العربي : النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية، تأصيلية نقدية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ط1. 1985.
- سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، المركز الثقافي العربي بيروت/ الدار البيضاء، 1992. (وبخاصة الفصل السابع: نحن والتراث: أسئلة الآفاق أومن أجل وعي جديد بالتراث)، ص 125 وما بعدها.
- عبد الله محمد الغذامي، المشاكلة والاختلاف، قراءة في النظرية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، بيروت/الدار البيضاء، ط1، 1994.

وغيرها من الإسهامات الكثيرة جداً التي أدلت بدلوها في قراءة التراث، وحاولت استنطاقه من منظور حداثي.

(02) الوجود الأنطولوجي للعلامة يقصد به ما يتعلق بماهيتها، أي بوجودها وطبيعتها وعلاقتها بالموجودات الأخرى التي تشبهها أو تلك التي تختلف عنها.

03 ينظر: محمد أركون الإسلام والأخلاق والسياسة، (م.س) ص114 وما بعدها.

وانظر أيضا: محمد أركون، الإسلام والحداثة، مجلة مواقف، ع60/59، صيف/خريف 12، ص21 وما بعدها.

04 ينظر في هذا الصدد: علي حرب، مداخلات، نقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري، انفتاح العقل أو انغلاقه؟ دار الحداثة، بيروت 1985، ص7 وما بعدها.

وينظر أيضا: علي حرب، ما يتهافت في الفلسفة ليس في الفلسفة، الفكر العربي المعاصر، ع57، ص.146.

05 سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، مرجع سابق، ص125 وما بعدها.

06 ينظر: علي حرب، طريقة التعامل مع النص الفلسفي عند أركون والجابري، الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص22.

07 المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

08 المرجع السابق، ص.25

09 سعيد يقطين، الرواية والتراث السردي، مرجع مذكور سابقا ص139 و.149

10 المرجع نفسه، ص.137

11 هذا لا يعني أننا ضد الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى – فهذا الأمر لا يتبناه إلا جاحد– لأن المعرفة عالمية وإنسانية، وتلاقح المعارف هو إغناء للثقافة القومية وإثراء لها.ولكن فقط ما نعينه هنا هو الالتفات أولاً إلى ذاتنا وحضارتنا، ولا بأس بعدها من التحاور مع حضارة الآخر للإفادة منها، وذلك وفق استراتيجية محددة ومضبوطة، حتى لا نقع في مطب الاستلاب وفخ التبعية العمياء.

12 ينظر: رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق(رواية نوار اللوز لواسيني الأعرج نموذجا)، مخطوط أطروحة دكتوراه دولة. جامعة تلمسان 1995، ص.12

13 ذلك لأن الإطار المعرفي والعلمي للتراث العربي الذي كانت (العلامة / الدلالة) مركزاً لاستقطابه تمثل في : الموروث الديني(علم التفسير، علم الأصول)، والموروث الفلسفي بما في ذلك علم المنطق، والموروث البلاغي سواء في جانبه التقني المعياري المعروف، أو في جانبه النقدي الأكثر تعقيداً، بالإضافة إلى الموروث اللساني بشقه المعجمي والنحوي والصرفي.

14 ينظر: نصر حامد أبو زيد، العلامات في التراث " دراسة استكشافية "، في سيز أقاسم، نصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات (مدخل إلى السيميوطيقا)، الدار البيضاء، المغرب، ط2، ج1، ص.73

15 ينظر: رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق (مرجع مذكور سابقا)، ص.12

16 محمد أركون، الفكر الإسلامي، ترجمة وتعليق هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص16، وأنظر أيضاً : رشيد بن مالك، المرجع السابق، ص.11

17 ينظر: محمد أركون، الفكر الإسلامي (م،س)، ص.16

18 نظر: رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، ص.11

19 حيث ورد في مخطوط ينسب إلى ابن سينا نص يقول فيه : "علم السيميا – علم يقصد فيه كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو أيضاً أنواع فمنه

ما هو مرتب على خواص الأدوية المعدنية والحيوانية والنباتية وتعفين بعضها مع بعض – ومنه ما هو مرتب على الحيل الروحانية والآلات المصنوعة على ضرورة عدم الخلا. ومنه ما هو مرتب على خفة اليد وسرعة الحركة والأول من هذه الأنواع هو السيميا بالحقيقة والثاني من فروع الهندسة (...) والثالث هو الشعبذة ".

ينظر: ابن سينا، مخطوطة : كتاب الدر النظيم في أحوال علوم التعليم، كتبه العلامة محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، مكتبة فين Viennes الوطنية، قسم المخطوطات، رقم 4، ص33. وينظر أيضا : محمد شاه المولى شمس الدين الفقاري، مخطوطة كتاب أنموذج العلوم، مكتبة فينا الوطنية، ص 233 (وفي ما يورده نرى أن علم السيمياء يقترب من السيميولوجية باعتبارها فرعا طبيا يعنى بالكشف عن أعراض المرض) وينظر أيضاً: عبد الرحمن بن خلدون المقدمة، دار العودة، بيروت، ص.ص399–393.

(*) ولكن على الرغم من ذلك فإن الجذر اللغوي للمصطلح (السيمياء)، مطروق في كثير من المعاجم العربية الموثوقة، بما يدل على معنى (علامة أو دلالة)، حيث نجد على سبيل المثال في معجم (الصحاح) للجواهري، المجلد الأول، مادة (س،و،م) ص 631، أن (سوم) تعني فيما تعنيه العلامة التي يعلم بها شئ ما، أوحيوان ما،ومن هذه المادة جاء لفظ: السيما (بالقصر) والسيمياء (بالمد) والسيمياء (بإضافة ياء قبل الألف وبعد الميم)، والوسم، هو أحداث تأثير أو علم (بفتح العين وسكون اللام) بِكَيْ أو نحوه. وغني عن البيان أن كل ما يجري من هذه المادة يدل على إحداث علامة تغدو صفة عارضة، أو دائمة في غيرها.

وينظر في هذا الصدد أيضا: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت دون تاريخ 135/5/ وأيضاً: أبوالفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار بيروت للطباعة والنشر، المجلد12، 1968، مادة (سوم) ص.312

20 ينظر: نصر حامد أبوزيد، العلامات في التراث، في سيزا قاسم نصر حامد أبوزيد، أنظمة العلامات (مدخل إلى السيميوطيقا) (مرجع مذكور سابقا)، ص.73

21 المرجع نفسه، ص74–75.

22 ينظر: الرجع السابق، ص.75

23 ينظر: المرجع السابق نفسه، ص. ص 73–75.

24 رشيد بن مالك، السيميائية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص.28

25 نشير هنا إلى قناعتنا الراسخة –التي نتفق فيها تمام الإتفاق مع ما ذهب إليه الباحث أنوان طعمة– بأنّ أي مقاربة سيميائية دلالية عربية، تروم التجديد وتزعم الحداثة لا بد لها، بل ومن الضروري لها، مساءلة التراث العربي والاطلاع على مقولاته وتحليل منجزاته في مجال اهتمامها– الذي تريد الخوض فيه – لمعرفة الإضافات النوعية والحقيقية التي يمكن أن يقدمها هذا التراث، من أجل تأصيلها والاستفادة منها في منجزنا الراهن، لأنّ" كل علم دخيل لا يجد لنفسه تربة أصيلة ينغرس فيها يبقى دخيلا مسطحا مستعاراً".

ينظر: انطوان طعمة، السيميولوجيا والأدب، مقاربة سميولوجية تطبيقية للقصة الحديثة والمعاصرة، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، مج 24/ع3، 1996، ص210.